ألف حكاية وحكاية (١٠٩)

يعقوب الشارونى

من مذكرات طفل

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (١٠٩)

من مذكرات طفل

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

نسيم

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

الشمبانزى يضحك فى أسف

فى حديقةِ الحيواناتِ ، وقفَ الدبُّ الأبيضُ تحتَ رشاشِ الماءِ ، المتساقطِ فوقه من سقفِ القفصِ الواسعِ . و شاهدَ فى القفصِ المجاور له دبًّا ضخمًا أسمرَ اللونِ ، فصاحَ به : " ما الذى غيَّرَ لونَكَ إلى هذا اللونِ الداكنِ ؟ "

أجابَ الدبُّ الأسمرُ : " بل هو لونى الذى أحبُّهُ ، و لولاه لما استطعْتُ أن أعيشَ . "

قالَ الدبُّ الأبيضُ : " بل اللونُ الأبيضُ هو الذى يحمى الدبَّ



فيعيشُ . إن لونى الأبيضَ يُخفينى بينَ الثلوجِ ، فلا يرانى الصيَّادونَ .. كما يُخفينى عن الصيدِ الذى أصطادُهُ ، فأستطيعُ أن أجدَ طعامى . "

وفى تكاسُلٍ ، جلسَ الدبُّ الأسمرُ و قالَ : " أما أنا فأعيشُ فى الغاباتِ ، و اللونُ الأسمرُ يُخفينى بين ظلالِ الأشجار ، فلا يرانى الصيادون ، وأستطيعُ به أن أتخفَّى فأصيدَ ما أشاءُ ."

ابتعدَ الدبُّ الأبيضُ و هو يقولُ :" هذا غريبٌ .. فأنا مؤمنٌ أنه بغيرِ اللونِ الأبيضِ ، لا يُمكِنُ للدبِّ أن يعيشَ ! "

وفى إصرار قالَ الدبُّ الأسمرُ :" بل أنا واثقٌ أنه بغيرِ اللونِ الأسمرِ ، لا يُمكِنُ للدبِّ أن يعيشَ ! "

و سمعَ الشمبانزى هذا الحوارَ الغريب ، فضحكَ فى أسفٍ و هو يقولُ لزوجتِهِ : " أجسامٌ ضخمةٌ ، و عقولٌ ضعيفةٌ ، فكل واحدٍ منهما لا يُريدُ أن أن يتصوَّرَ نفسَهُ فى بيئةِ الآخرِ ، فتَجمَّدَ خيالُهُ و تَعطَّلَ تفكيرُهُ . "



اكتفت بابتسامة !!

رجعْتُ ذاتَ مساءٍ من المدرسةِ ، وفى حماسٍ أخذْتُ أحكى لأمِّى آخرَ الأخبارِ .

قلْتُ لها : " جلسَ اليومَ بجوارى فى الفصلِ تلميذٌ جديدٌ ، جاءَتْ عائلتُهُ هذا الأسبوعَ إلى مدينتِنا ، لكنْ يبدو أن هذا الزميلَ الجديدَ غبىٌّ جدًّا . إن جسمَهُ أكبرُ من حجمِ أىِّ واحدٍ فى الفصلِ ، لكنه لا يستطيعُ أن يقرأَ مثلى . "

ثم ضحكْتُ فى سخريةٍ .

قالَتْ أمِّى بهدوءٍ : " قد لا يكونُ غبيًّا كما تظنُّ .. ربما يوجَدُ



سببُ عطّلَهُ عن الدراسةِ . ولو كنْتُ فى مكانِكَ ، لبحثْتُ أولاً لأعرفَ السببَ فى تأخُّرِهِ الدراسِيِّ ، قبلَ أن أسمحَ لنفسى أن أقولَ إنه غبىٌّ ! "

ونظرْتُ إلى وجهِ أمِّى ، أتأمَّلُ كلماتِها ، ولم أنطقْ بحرفٍ .

وفى اليومِ التالى ، عدْتُ من المدرسةِ ، و معى أخبارٌ جديدةٌ .

قلْتُ لأمِّى : " لقد عرفْتُ السببَ ، و ساعدْتُهُ اليومَ فى دروسِهِ . إنه ليسَ غبيًّا كما كنْتُ أظنُّ ، لكنه أصيبَ بمرضٍ فى عينَيْهِ ، عطَّلَهُ عن الدراسةِ مدةً طويلةً ، و هو يُريدُ الآنَ أن يبذلَ كلَّ جهدِهِ لتعويضِ ما فاتَهُ ! "

و فى هذه المرةِ لم تقلْ أمِّى شيئًا ، لكنها اكتفَتْ بابتسامةٍ تعبِّرُ عن الرضا .



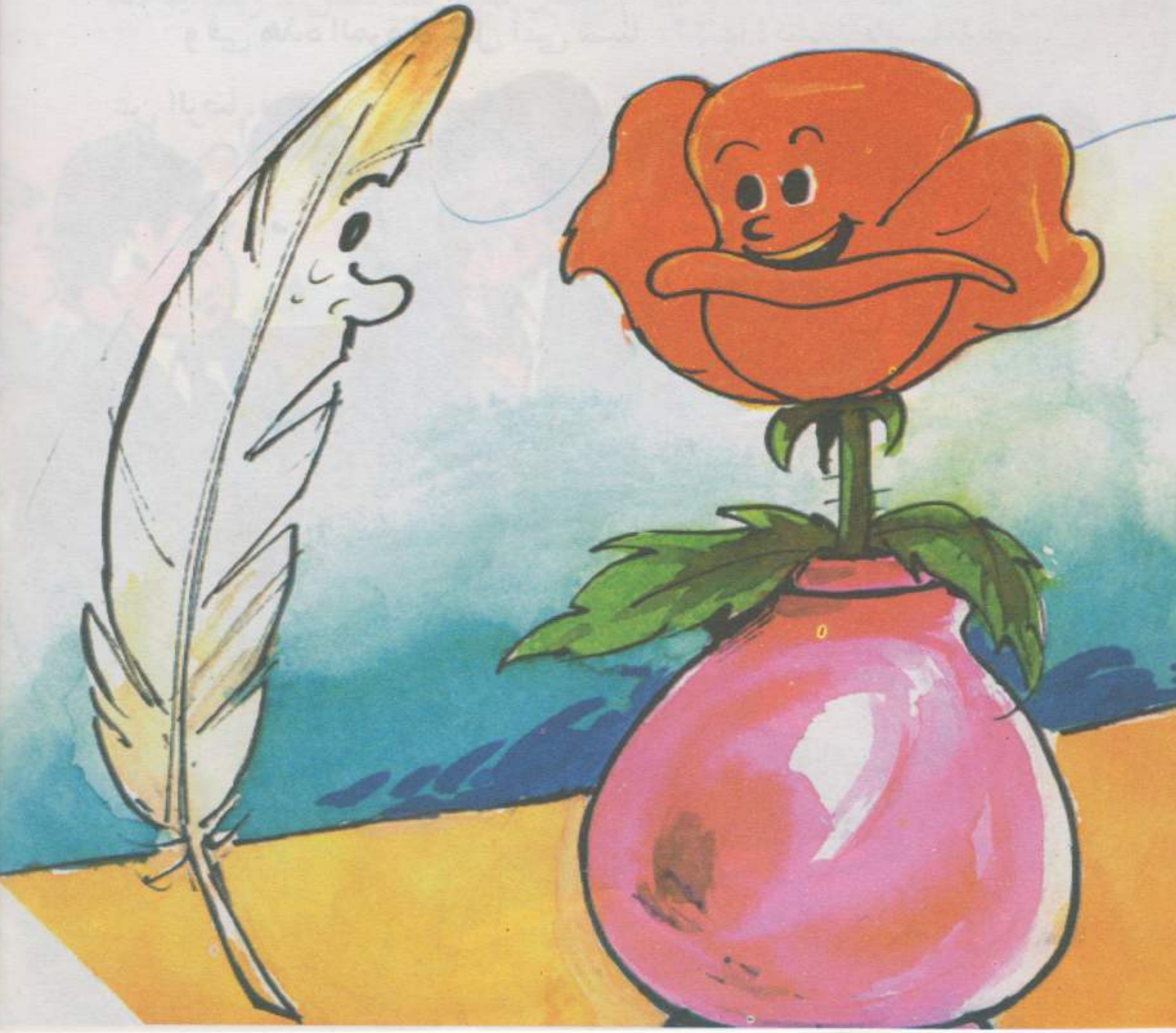
سخرية الوردة من الريشة

منذُ مائةِ سنةٍ ، كانَ الناسُ يستخدمون ريشَ الطيورِ مع الحبر للكتابةِ .

وذاتَ يومٍ ، اجتمعَتْ على منضدةٍ واحدةٍ ، وردةٌ فى وعاءٍ من الصينىِّ الفاخرِ ، و ريشةٌ للكتابةِ فى محبرةٍ قديمةٍ .

قالَتِ الوردةُ للريشةِ :

" كم أنا آسفةٌ عليكِ .. إنهم يغمسونَكِ فى سائلٍ قاتمِ اللونِ ، و يحترسون منكِ حتى لا تصيبى الملابسَ ببقعةٍ قذرةٍ . أما أنا





فيضعوننى في ماءٍ نقِىٍّ ، بإناءٍ نظيفٍ ، و يحرصونَ على تغييرِ الماءِ لأظلَّ على أحسنِ صورةٍ و أجملِ شكلٍ . "

فلما سمعَتِ الريشةُ كلامَ الوردةِ ، قالَتْ لها :

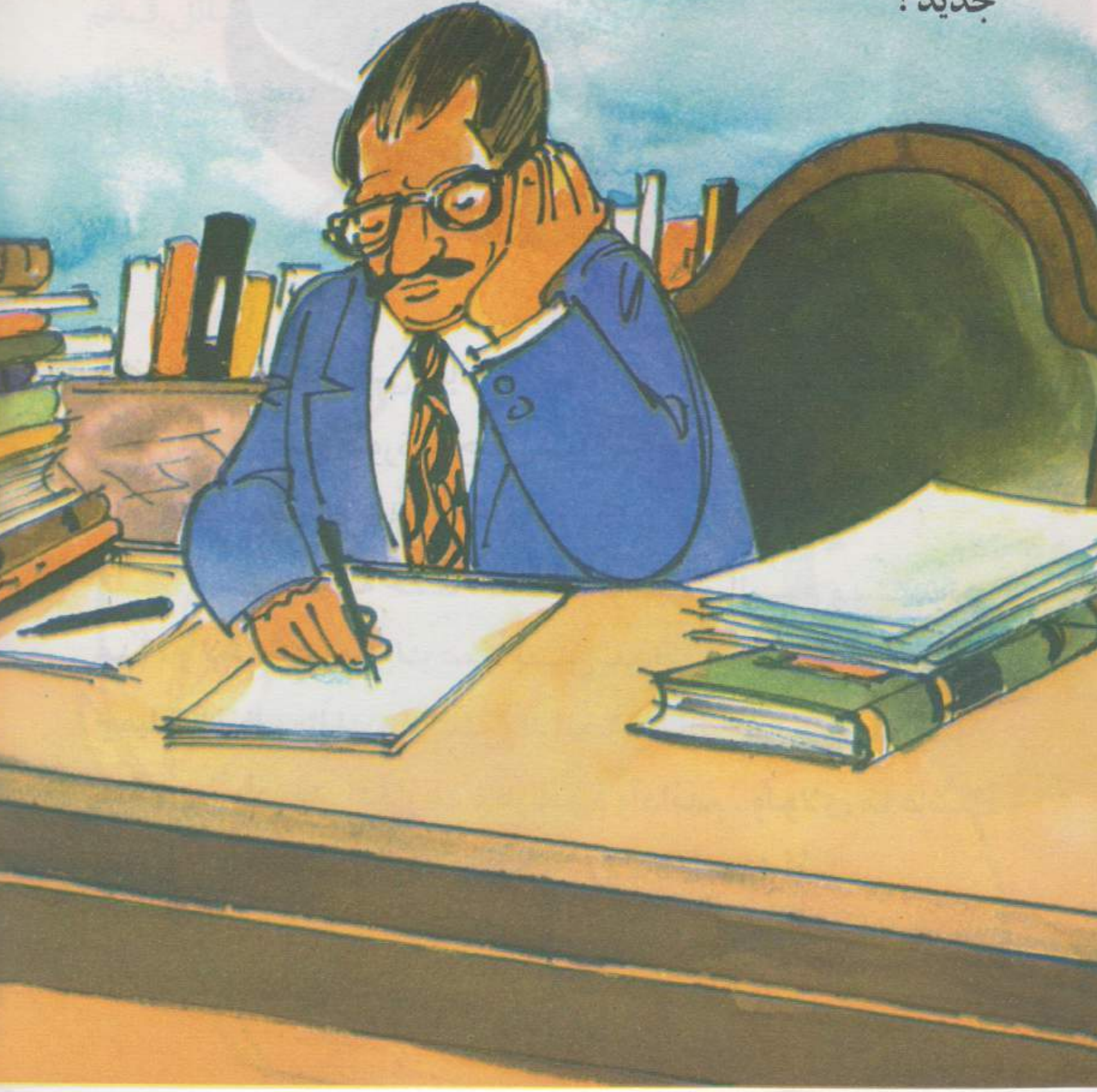
" أنتِ جميلةٌ حقًّا ، لكنكِ تولَدينَ اليومَ و ستموتين غدًا ، و لا تتركين وراءَكِ عملاً يعيشُ بعدَكِ . أما أنا ، و إن لم أكنْ جميلةَ المنظرِ مثلَكِ و لا عطرةَ الرائحةِ ، فإننى أعلِّمُ الناسَ ما لا يعلمون ، وأسجِّلُ أفكارَهم و تاريخَهم وآدابَهم . ولولاى ما عاشَتْ ثقافةٌ و لا علمٌ ، و لتوقَّفَ تقدُّمُ الإنسانِ ، و ماتَتْ حضارتُهُ . "

إنها قريبة منى جدًّا

وقفَ الابنُ يراقبُ والدَهُ ، و قد انهمكَ الأبُ فى الكتابةِ ثم إعادةِ الكتابةِ . وطالَ انتظارُ الصبىِّ ، فاقتربَ ، و بطرفِ إصبعِهِ لمسَ كتفَ الأبِ .

وأفاقَ الأبُ من استغراقِهِ ، و نظرَ إلى ابنِهِ متسائلاً .

قالَ الصغيرُ : " أبى .. غدًا سوف تُشرِقُ الشمسُ ، و يبدأ يومٌ جديدٌ ! "



و لم يفهمِ الأبُ ، فقد كانَ يفكّرُ فى الكلماتِ التى سجَّلَها على الورقِ .

وعادَ الصغيرُ يقولُ : " أريدُ أن أصحبَكَ إلى نزهةٍ على شاطئِ النيلِ ، و ستجدُ غدًا وقتًا طويلاً ، تُكمِلُ فيه ما بدأتَ . "

قالَ الأبُ فى شبهِ احتجاجٍ : " لكننى مشغولٌ جدًّا بعملى كما ترى ! "

قالَ الابنُ : " أنا لا أريدُ أن آخذَكَ من عملِكَ ، بل أودُّ أن نخرجَ معًا لحظاتٍ إلى الدنيا ، لنأخذَ منها شيئًا .. أىَّ شىءٍ . الدنيا بكلِّ ما فيها قريبةٌ جدًّا منَّا ، و أنا فى حاجةٍ إلى أن نشعرَ معًا ، بما فيها من خيرٍ و حبٍّ و جمالٍ . "



من مذكرات طفل

(١) سطح بغير سور

" .. نَمْ .. والدُكَ غضبُهُ شديدٌ.. "

انفجرَ صوتُ الأبِ : " مستيقظٌ حتَّى الواحدةِ ؟! "

دقَّ المائدةَ بقبضتِهِ .. ارتجفَتِ المائدةُ .. ارتعشَ كوبُ ماءٍ ..

أكرهُ النومَ .. أخافُ أن أرتطمَ .. لا أعرفُ ما الذى سأرتطمُ به ..

الصَّحْوُ المفاجئُ أنقذَنى حتى الآنَ ..

كلما نِمْتُ ، أسقطُ و أسقطُ و أسقطُ : من فوقِ السطحِ .. من فوقِ النخلةِ .. من فوقِ تكعيبةِ العنبِ ..



كنتُ فوقَ السطحِ مع إخوتى .. لا .. مع أصدقائى .. لا يهمّ مع مَنْ .. أذكرُ فقط أنّى سقطْتُ ..

سطحُ منزلِنا لا سورَ له : " إيَّاكَ والسطحَ .. لا تصعدْ فوقَ السلالمِ .. افتحْ كفَّكَ .. "

أثرُ الحزامِ الجلدِ تجاوزَ الكفَّ على طولِ ذراعى .. أثرٌ أحمرُ مُتورِّمٌ عريضٌ .. بمقاسِ الحزامِ ..

حظيرةُ الدجاجِ فوقَ السطحِ .. هل فقسَ البيضُ ؟ هل يجرى الكتكوتُ عندما يخرجُ من البيضةِ ؟ أمى ولدَتْ أخى منذ أيامٍ .. إنه ينامُ فقط .. لا يجرى ولا يلعبُ .. فقط يرضعُ ويصيحُ .. هل يصيحُ الكتكوتُ عندما يخرجُ من البيضةِ ؟ هل يرضعُ ؟

أثرُ الحزامِ الأحمرِ المتورِّمُ لم يمنعْنى من الصعودِ .. البيضُ لم يفقسْ .. الدجاجةُ خافَتْ وتركَتِ البيضَ .

" ابتعِدْ عن الدجاجةِ .. سأقولُ لوالدِكَ .. ممنوعٌ صعودُ السُّلَّمِ .. ممنوعٌ رؤيةُ الكتاكيتِ وهى تخرجُ من البيضِ .. ممنوعٌ السطحُ !! "

ممنوعٌ .. ممنوعٌ .. ممنوعٌ .. !!

(٢) لا تصعد !!

" .. ستسقطُ .. ستموتُ كما ماتَ ابنُ عمِّكَ .. ذهبَ إلى الإسكندريةِ ولم يعُدْ . "

أمى همسَتْ لأبى : " زوجةُ أخيك غبيةٌ .. تركتِ الصغيرَ على الكنبةِ بجوارِ شباكِ المَنْور !! "

صاحَ أبى : " اسكُتى .. قضاءُ اللهِ ! "

صاحَتْ أمِّى : " إياكَ والسطحَ .. "

انفجرَ أبى : " إياكَ والسلمَ .. سأجلدُ كلَّ ظهرِكَ . "

لكنه يجلدُ كفِّى .. الحزامُ تركَ أثَرَهُ على طولِ ذراعى ..

صرخْتُ .. بعدَها لم يتركِ الحزامُ شبرًا من جسمى بغير أن يضعَ أثَرَهُ العريضَ عليه !

لماذا لم يبنوا سورَ السطحِ ؟

" سنبنيهِ .. إن شاءَ اللهُ سنبنيهِ !! "

كنْتُ أحبو عندما سمعْتُ ذلك .. أنا الآنَ فى العاشرةِ .. صاحَ أبى فى أختى التى تعلَّمَتِ الحَبْوَ هذا الأسبوعَ : " لا سلالم .. السطحُ بغيرِ سور .. ستسقطين .. "



أنا الذى سقطْتُ من فوقِ السطحِ .. لا أعرفُ كيف .. استغرقَ السقوطُ وقتًا أطولَ من ارتفاعِ الأدوارِ الأربعةِ .. فى كلِّ لحظةٍ أتوقَّعُ أن أرتطمَ .. أن أتحطَّمَ ..

هل أسقطُ أم أطيرُ ؟ .. جسمى يرتعشُ .. صحَوْتُ .. عرقٌ غزيرٌ يغمرُ جسمى .

دِبْ .. دِبْ .. دِبْ .. دقات قلبى ..

أفتحُ عينىَّ على آخرِهما ..

لا أريدُ أن أعودَ إلى النومِ .

(٣) ستسقط !!

فى حديقةِ بيتِنا الجرداءِ نخلـةٌ .. تسلَّقْتُها أولَ مرةٍ و أنا فى السادسةِ .. البلحُ لا يزالُ أخضرَ ، وأثرُ الحزامِ أحمرَ ..

انفجرَ الدمُ من أثرِ الحزامِ .. أمى تتلقَّى ضرباتِ الحزامِ على ذراعَيْها بدلاً منِّى .. الدموعُ سقطَتْ من عينَىْ أمى : " لن يقتربَ ثانيةً من النخلةِ .. اقطَعِ النخلةَ و أرحْنا منها .. "

النخلةُ لم تُقْطَعْ ..



صعدْتُ مراتٍ فوقَ النخلةِ .. البلـحُ أخضرُ ، لكنني أكلْتُه .. أمي أخفَتِ السرَّ عـن أبـي .. بطنـي فضحَتْني .. معدتـي نـارٌ .. صِحْتُ من الألم !!

عرفَ أبي السرَّ .. حملَني بين ذراعَيْهِ ، وجرَى إلى الطبيبِ ..

في الصباحِ زالَ ألمُ البطنِ ، وازدادَ أثرُ الحزامِ !!

طاخ .. لا تصعدْ .. طيخ .. ستسقطُ .. طاخ .. ستتحطَّمُ !!

أنا أصعدُ النخلةَ أسرعَ من أختـي .. ممنـوعٌ النخلـةُ .. ممنـوعٌ البلحُ .. وأنا أصعدُ وأصعدُ ..

صعدْتُ النخلةَ وأنا خائفٌ ..

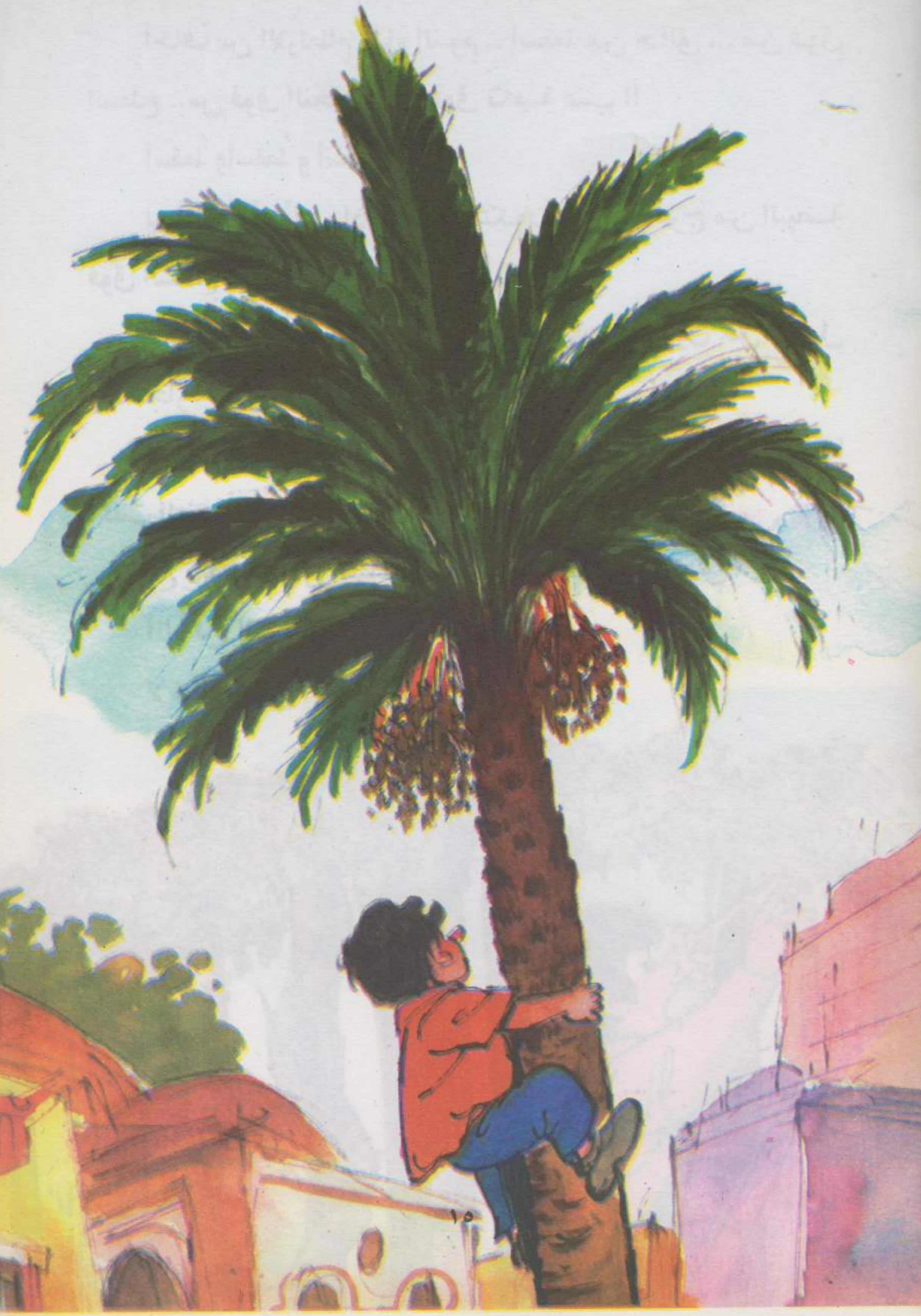
أخافُ من الحزامِ و أخافُ من السقوطِ وأخافُ من أبي !!

(٤) لم أعرف أبدًا !!

لعبْتُ فـوقَ السطحِ .. لعبْتُ وأنا خـائفٌ .. خـائفٌ مـن صراخِ أبي .. من الأثرِ المتورِّمِ العريضِ للحزامِ .. من السقوطِ !!

صوتُ أبي يتردَّدُ كالطبلةِ : " مصيبة .. ستجلبُ لنا مصيبـةً .. أنـت مجنونٌ .. ستسقطُ .. أنت طائشُ العقلِ .. "

نبوءةُ أبي تحقَّقَتْ .. في كلِّ ليلةٍ أسقطُ .. كلما نِمْتُ أسقطُ ...



أخافُ من الارتطامِ أثناءَ النـومِ .. أسقطُ من حالقٍ ... من فـوقِ السطحِ ..من فوقِ النخلةِ .. من فوق تكعيبةِ عنبٍ !!

أسقطُ وأسقطُ و أسقطُ ...

لم أعرفْ أبدًا ، ماذا يفعلُ الكتكوتُ عندما يخرجُ من البيضـةِ فوقَ السطحِ !

توقَّفْتُ عن صعـودِ النخلةِ ، وكـلُّ الصبيانِ يصعدون كلَّ النخلِ والأشجار !

تخلَّيْتُ عن جمعِ العنبِ من فـوقِ التكعيبةِ ، والعصافيرُ وحدَها أكلَتِ العنبَ !

مع ذلك لا أزالُ أسقطُ وأسقطُ .. ويدقُّ قلبى وأرتعشُ ..

أنا أكرهُ النومَ ... إذا نمتُ ، سأرتطمُ !!

لا تطلبوا منى أبدًا أن أنامَ !!



ألف حكاية وحكاية

تأليف : الأستاذ يعقوب الشاروني

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

